إدراك قرابتنا مع المخلص مفرِّح القلوب

القمص تادرس يعقوب ملطي

إحدى غايات تجسد كلمة الله أنه يهبنا دالة قوية عنده، فلا نتعامل معه كغريبٍ عنا، إنما باتحادنا معه نجرؤ أن نتكئ على صدره مثل يوحنا الحبيب (يو ٢٣: ٢٥)، فنتعرف على الكثير من أسراره العجيبة. يفتح لنا باب الفردوس، ويدخل بنا لنكون في شركة مع الثالوث القدوس، وننضم إلى خورس السمائيين، فتمتلئ نفوسنا بالبهجة الدائمة، ونتمتع بالسلطان أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوات الظلمة (لو ١٠: ١٩).

يوضح بولس الرسول قوله: "الربّ قريب" (في ٤: ٥)، قائلاً: "هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح" (رو ١٢: ٥). "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح" (١ كو ٦: ١٥).

لن أنسى الدالة العجيبة التي اتسم بها أحد خدام الشباب، فكان كثيرًا ما يردد هذه العبارة في صلواته: "لن أقبل منك أقل من أن أكون أيقونة لك[١]." هكذا كان يغرف من مخازن حبه وإمكانياته، فيشعر أن الله يُسرّ أن نسأله بمثل هذا الطلب.

خلال قرابة مخلصنا لنا نتمتع بالانضمام إلى الأسرة السماوية، فنسمع صوت الرسول: "فلستم بعد غرباء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله" (أف ٢: ١٩).

صار مسيحنا رأس الكنيسة ومُقدسها، بل بالحق خلال صليبه صرنا نحن أعضاء جسده، فصار كل واحدٍ منا عضوًا في الجسد الواحد فنطلب على الدوام:

ارفع يا ربّ قلبي إلى سماواتك، فلا أطلب ما هو لنفسي، ولا ما هو لأسرتي الصغيرة،
بل أطلب ما هو لكل أهل بيتك.
فرِّح يا ربّ قلوب كل البشرية.
ضمني إلى أهل بيتك السماوي، فأتمتع بقية أيام غربتي بالحب لكل البشر.
أقمت من إبرام إبراهيم، أي أب الجماعة البشرية.
ووهبت اليصابات وزكريا الكاهن يوحنا ليُعدّ الطريق لمخلّص العالم.
اضبط يا ربّ نفسي، فلا أكف عن محبة حتى المقاومين لي.

[١] خادم بكنيسة العذراء مريم بمحرم بك الاسكندرية وهو المتنيح د. يوسف عطالله (سنة ١٩٥٣-١٩٥٧).

اللقاء الدائم مع مفرِّح القلوب

كثير من الحفلات والولائم تنتهي بنقدٍ لاذع أو مضايقات غير متوقعة، وذلك لأن المخلّص مُفرّح القلب لم يكن له موضع في الوليمة أو الاحتفال. لهذا يليق بالمؤمنين في ولائمهم أو احتفالاتهم أن يكون للمخلّص مُفرّح القلوب مكانًا خاصًا في قلوبهم وأذهانهم وعواطفهم.

عندما دخلت القديسة مريم بيت زكريا لتبارك للكاهن وزوجته وللجنين الذي في بطن أليصابات، وسلمت على اليصابات تحوّل البيت إلى سماء ثانية متهللة. فالجنين الذي في بطن العذراء فرح متهللاً. إذ قيل: "فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات من الروح القدس، وقدمت مريم تسبحة قائلة: تبتهج روحي بالله مخلّصي" (لو ١: ٤١).

وفي أول معجزة للسيد المسيح، في عرس قانا الجليل، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له: "كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدون، أما أنت فقد أبقيت الجيدة إلى الآن" (يو ٢: ١٠).

هذا ما عبَّر عنه الرسول بولس بقوله: "كحزانى ونحن دائمًا فرحون، كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيءٍ" (٢ كو ٦: ١٠). مسيحنا هو سرّ فرحنا حتى في وسط التجارب، وسرّ غنانا وإن كنا لم نملك شيئًا من العالم. ليترنم كل منا، قائلاً:

+ كيف لا تتهلل نفسي، وأنت في داخلي تفيض عليّ بفرح الروح؟!
+ كيف اضطرب وتقلق نفسي، وأنت قائد حياتي وضابط الكل؟!
+ كيف أخاف من المستقبل، وأنت تفتح بالصلاة الأبواب المغلقة؟!
+ كيف لا أمارس الحياة السماوية، وأنت غيَّرت طبيعتي الجاحدة، ووهبتني الشركة في حياتك المتهللة؟!
+ أنت فرحي الأبدي، اختبره في أعماقي حيث تقيم فيَّ.
+ واختبره مع اخوتي، حيث كنيستك هي جسدك الدائم التهليل!
لأفرح هنا على الأرض، إذ عبر قلبي إلى سماواتك!

التمتع العملي بعربون السماء

مع بدء العام الجديد يليق بنا أن ننتفع بالخبرات العملية في حياة المؤمنين في العهد القديم وفي العهد الجديد. ففي العهد الجديد اتّسمت حياة الرسول بولس بالحديث عن عربون الحياة السماوية وممارسة هذا العربون. أدرك الرسول مجد هذا العربون عندما أشرق السيد المسيح بنوره عليه وحرّره من حرفية الناموس التي عاشها زمانًا طويلاً، فصار ما يشغله هو أن يتمتع المؤمنون بالشركة مع المخلص السماوي في أفكارهم وقلوبهم وعواطفهم.

ففي **تجسد المخلص** فتح الرب أبواب السماء أمام المؤمنين، وكما قال القديس أثناسيوس الرسولي إن كلمة الله صار إنسانًا لكي يصير المؤمنون آلهة، إذ يتمتعون بسمات فائقة بعمل النعمة الإلهية فيهم.

وفي **صلبه** وهبهم أيضًا أن يترنموا مع الرسول بولس: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا، بل المسيح (السماوي) يحيا فيّ" (غل 2: 20).

وبقيامته يترنم المؤمنون: "أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٦).

وبصعوده إلى السماء يسحب قلوبهم معه إلى السماء.

ويحدثنا الرسول عن **العبادة للرب،** قائلاً: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١٨).

أما عن **الرجاء،** فيقول الرسول: "وكما لبسنا صورة الأرضي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (آدم الثاني) (١ كو ١٥: ٤٩). "فإننا في هذه أيضًا نئن مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء" (٢ كو ٥: ٢). "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضًا ننتظر مخلصنا هو الرب يسوع المسيح" (في ٣: ٢٠)." من أجل الرجاء الموضوع لكم في السماوات الذي سمعتم به قبلاً في كلمة حق الإنجيل" (كو ١: ٥).

ويحدثنا عن **ملكوت الله السماوي** أنه في داخلنا، لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧: ٢١).

كما يحدثنا عن **الكنيسة** أنها "كنيسة أبكار مكتوبين في السماوات" (عب ١٢: ٢٣). كما يقول عنها: "قد أتيتم في جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة" (عب ١٢: ٢٢).

كما يحدثنا عن **الكنيسة** أنها "كنيسة أبكار مكتوبين في السماوات" (عب ١٢: ٢٣). كما يقول عنها: "قد أتيتم في جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة" (عب ١٢: ٢٢).

يدعو الرسول الكرازة بالإنجيل شركة في **الدعوة السماوية.** "من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع" (عب ٣: ١).

يدعو الرسول المواهب الإلهية **"مواهب سماوية."** "لأن الذين أُستنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤).

يدعونا الرسول أن نركّز أنظارنا على السماوات عندما **تحل بنا ضيقة** أو نعاني من الظلم: "لأنكم رثيتم لقيودي أيضًا وقبلتم سلب أموالكم بفرحٍ عالمين في أنفسكم أن لكم حالاً أفضل في السماوات وباقيًا" (عب ١٠: ٣٤).

أخيرًا وهبه الله أن **يُختطف إلى السماء الثالثة:** "أعرف إنسانًا في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، أُختطف هذا إلى السماء الثالثة" (٢ كو ١٢: ٢)؟

مسيحنا الصاعد إلى السماء ومناجاة الكنيسة له

رأت العروس العريس في المجد وهو يصعد، وارتفع رأسها الذي كان منحنيًا عندما كان يُهان. رأته راكبًا القوة، ويصعد عند أبيه، فاتسع قلبها بالفرح، لأنها كانت تُعيَّر بسبب موته.

رأت القتيلَ لابسًا البأس ويطير في الهواء، فنسيت كل إهانات الصلب.
رأت الغيوم والضباب تركض أمامه، ونست المستهزئين عند الجلجثة.
بنت النور رأت بأنه سجن الموت في عشِهِ، وعاد إلى موضعها فخرجت وراءه لتذهب معه.
قالت له: اجذبني وراءك (نش ١: ٤) إلى حيث تذهب،
لقد صرتُ خاصتك، فأصعد معك عند أبيك.
لقد فتشتَ عليَّ بالمحبة، وخطبتني بالألم، وخلصتني بالرُمح،
والآن أنتَ ممجد، فاركضُ وراءك إلى موضع أبيك.
دخلتُ معك إلى المحكمة، لأرى إهانتك، وقبلتُ التعيير لأجلك...
خفتُ ومتُ عندما كنتَ تُهان على الصليب، فهربتُ واختبأت عندما كنتَ تُلطم من الأشرار.
عُيّرتُ بسببك عندما صلبوك بين اللصَين، وحزنت كثيرًا لما وضعوك مع الموتى في القبر.
بك أيها النور تعزيتُ ونسيتُ مضايقيَّ، أذهب معك، لأنني مضطهدة من أجلك.[٢]

القديس مار يعقوب السروجي

---

[٢] راجع ميمر ٢٠٤ عن صعود ربنا يسوع (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

القمص تادرس يعقوب ملطي

ايقونات: الفنان جرجس سمير